أثرُ الأصول اللُّغويّة ودلالاتُها في توجيه المباحث العَقَدِيَّة (آراء بعض اللغّويين المعتزلة أنموذجاً) -دراسة لغويّة معجميّة نقديّة-

بلال جندل ،[1*] عمر بورنان[2]

[1-] جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة-

djendelb@gmail.com

[2--] جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة-

الإرسال: 2020/06/27 **القبول:**2020/11/20 **النشر:**2021/03/10.

الملخص: يُعتبَرُ فهم **دلالة الألفاظ** أهم طريق لفهم المعاني فهماً صحيحاً ، حيثُ يُعدُّ هذا المبحث أساسا في كل المباحث العلميَّة والمعرفيَّة التي يبحثها اللِّسان العربيُّ ، والعلومِ المتفرِّعة عنه ، إذْ إنَّ العلماء عَمَدُوا إلى الأصل اللُّغوي في تحرير المسائل ، وقد اعتمد اللُّغويون المعتزلة على هذا الأصل في تقرير أصول مذهبهم الكلامي (العَقَدِي). حيثُ تمّ في هذا البحث دراسة كيفية استعمال اللغويين المعتزلة للأصول اللُّغوية في تقرير مذهبهم الاعتزالي ، وهي نقطة سعى البحث للكشف عنها ، حيثُ أنّ أهم ما خَلُصَ إليه البحث أنَّ اللغويين المعتزلة تلاعبوا بالمعاني ، وحمَّلوا الألفاظ من المعاني ما لا تتحمله انتصارا لمذهبهم الكلامي ، وتعسُّفا في تقرير أصولهم العَقَدِيَّة ، حيثُ صار البحث صراعا عقديًّا لا بحثاً لغويًّا دلاليًّا معجميًّا.

الكلمات المفاتيح: أثر ، الأصول اللُّغوية ، المباحث العَقَدِيّة ، دراسة ، لغويّة ، معجمية.

The effect of linguistic origins and their implications for the direction of nodal investigations

---

[*] **المؤلف المرسل.**

(Views of some Mu'tazili linguists as a model)
-Critical lexical linguistic study-

Abstract : An understanding of the semantics is considered the most important way to understand the meanings correctly, as this topic is considered a basis in all scientific and epistemological researches that the Arab tongue examines, and the sciences that derive from it, because the scholars intent on the linguistic origin in editing issues, and the retired linguists have relied on this origin in a report The origins of their verbal (doctrinal) doctrine. Where in this research was a study of how Mu'tazili linguists used linguistic origins in determining their retired doctrine, a point that the research sought to uncover, as the most important finding of the research is that Mu'tazili linguists have manipulated meanings, and have loaded the meanings of meanings that are not tolerated by a victory for their verbal doctrine, and arbitrarily in Determination of their doctrinal origins, where the research became a contractual struggle, not linguistic semantic lexical research.

Key words: impact, linguistic origins, dogmatic investigations, study, linguistic, lexical.

المقدّمة: يعتبر مبحث **دلالة الألفاظ** من أهمّ المباحث عند علماء اللُّغة ، والفقه والأصول وجميع علوم الشريعة ، إذا تعتبر: «الشريعة عربيّة» ، ومعرفة الأحكام متعلّق بإحاطة العارف باللُّغة قوةً ، وضعفاً ، حيثُ تصير اللُّغة مبحثاً واجباً ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلاَّ به فهو واجب ومن جملة المباحث المدروسة تحت مبحث **دلالة الألفاظ**: المجمل والمفصل ، والعام والخاص والمطلق والمقيّد ، والظّاهر والمؤول ، و الحقيقة والمجاز.

ولقد وقع صراع كبير بين الفرق الإسلامية والمذاهب الكلامية حول بعض المباحث العَقَدِية ، ومحكّ الخلاف بينهم في الأساس هو فهم **دلالة الألفاظ** ، **وتحديد معانيها** ، وربّما من

أعقد الأزمات الفكرية، والثقافيّة الواقعة بينهم مثلا: مبحث القرآن؛ هل هو كلام الله تكلم به حقيقة؟ أو أنَّه كلام نفسي تكلّم به على لسان نبيّه المُوْحَى إليه[1]؟ وهل كلّم الله موسى حقيقة؟ أو أنّ الكلام هنا مجاز؟ وهل كلام الله مخلوق أو غير مخلوق؟ وقد أنكر المعتزلة ومن وافقهم بشدّة قضية نسبة الصفات التي يشترك فيها الإنسان مع الله كقضية الكلام مثلاً، وعدُّوا من قال بها من الذين شابهوا الخالق بالمخلوق، من باب تنزيه ما هو إلهي عمَّا هو إنساني بشري، في حين أنّ أهل السّنة والجماعة قالوا عن تلك الصّفات: «أمِرُّوها كما جاءت»؛ أي أنّهم يعتقدون الصّفة (صفة الوجه مثلا) ويفوِّضون الكَيْفَ، وقد اختلفوا اختلافاً واسعاً، وتفرعت آراؤهم في توضيح **الدّلالة** من قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: 11]؛ ومن ذلك حادثة مشهورة رُوِيَت عن الإمام مالك الأصْبَحِي (175هـ) لمّا سأله رجل قائلا: أالله استوى على العرش؟ قال مالك: نعم، قال الرجل: كيف استوى؟ قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوه عني ما أراك إلاّ صاحب بدعة!! (يُنظر: ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص37) في حين نرى مثلاً أنّ **الجوهري** (393هـ) صاحب (معجم الصِّحاح) يفسّر الاستواء بمعنى الاستيلاء، واستوى عنده استولى، وظَهَرَ من الغلبة والقهر، مستنداً في تفسيره إلى بيت شعري:

قد **استوى** بشر على العراقِ   من غير سيفٍ، ودم مُهْراقِ[2]

ففهم **الجوهري** دلالة اللفظ (استوى) تطبيقاً لما يعتقدُه، ومن أمثلة ذلك ما قاله **الزّمخشري المعتزلي** (540هـ) تحت قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:5]: «لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك ممَّا يردف الملك، **جعلوه كناية عن الملك** فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة» (الكشّاف، ج3، ص52) فكان للأثر العَقَدِي دور في **توجيه الدّلالة** في الآية، وقد غال بعضهم في تحميل النّصوص ما لا تحتمل من أجل موافقة المعتقد، وعدم الخروج عن النِّحلة المتّبعة، فيلوي نصوص اللُّغة، ويتكلّف في تفسير الألفاظ ووضع الدّلالات على ما يوافق معتقده.

ويبرز استنادا إلى ما سبق أنَّ للجانب العَقَدِي في **توجيه الدلالات** وبخاصة في جانب الصفات الإلهية، بين تأويل وتعطيل، حيث احتدم الصراع بين الفرق في فهم الصفات بين نافٍ ومثبت، ولكلّ حُجَجُه وبراهينه، من هنا كان مبحث **دلالة الألفاظ وتوجيه المعاني** عند الفرق مبحثاً حساساً وجديراً بالبحث والدِّراسة. لكن المهم في هذا بحث مدى إصابة المعتزلة

ومن معهم من عدمها في **توجيه الصفات** الإلهية من منطلق **لغوي معجمي لساني** ، وسأحاول من خلال هذه الورقة البحثيّة الإجابة عن الإشكالية المركبة الآتية: **هل التّعدد القرائى لنصوص الصفة الإلهية تفرضه طبيعة اللُّغة العربية ، وتحتمله الصِّناعة المعجمية ؟ أو هو تعصّب للفرقة المُنتَسب إليها وتعسّف فى تبرير المذهب الكلامي المُعتقد وانتصار له ؟**

ويقوم هذا البحث على الفرضية الآتية وهي:

مادة (عين) حيثُ قال تحتها: «أنت تحت عيني ، في الإكرام والحفظ جميعا ، قال الله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ [طه:39]»[3] والمعنى الموضوع للفظة (العين) هو معنى مجازي وارد ، وقد يكون المعنى الحقيقي واردا بقوّة ، ولنأخذ لذلك مثال سهل: يقول شخص للآخر:

(أنت على عيني)= حقيقة + مجاز

- **حقيقة=** تفهم الحقيقة الواردة في اللّفظ بتخير الدّلالة والمعنى الذي يسهم السياق في طرحه ، فاستعمال اللّفظ (على) الذي يدل على الاستعلاء في الأصل كما قرّر سيبويه في (الكتاب)[4] ، وتبقى له معاني أخرى ذكرها ابن هشام في (مغني اللبيب) ، أي: لكونك تحت نظري وإني أرقبك فيما تفعل ، ومشاهدتي الحقيقة لك حال نموك ، وتطورك.

- **المجاز=** أن تجري لفظ (العين) في غير ما وضع له بقرينة صارفة عن فهم المعنى الحقيقي له ، وهنا يمكن طرح السؤال الآتي: أين هي القرينة الصارفة في الآية عن فهم المعنى الحقيقي للفظ (العين)؟

فيضطر المعتزلة في مقابل هذه النصوص إلى استعمال المخرج اللساني/المعجمي من أجل تبرير مذهبهم ومعتقدهم ، فيبعدون عن الحقيقة اللُّغويّة من أجل النِّحلة الاعتقادية ، وهنا يفهم جليّا قول ابن جني في الباب الذي عقده في (الخصائص): **باب ما يؤمنه علم العربيّة من الاعتقادات الدّينيّة** ، ويمكن تقرير هذا التوضيح بمثال آخر: إنّ العرب وهم الفصحاء الذين انمازوا بهذه الضميمة المعجمية اللُّغويّة/ اللسانية عن غيرهم من الشّعوب ، وقد صارت لهم معجزة خالدة فيما بعدُ مع نزول القرآن الكريم ، **أدركوا سليقة** أنّ معنى كلمة **(الله)** من التّأله ، أي: أَلَهَ يَأْلَهُ أُلُوْهَةً فهو إلهه ؛ أي: معبود ، وهذا ما أقره أصحاب المعاجم لاحقا واستدلوا لذلك بقول الراجز **رؤبة بن الحجّاج**:

لله درّ الغانيات المدّهِ   سبّحنَّ واسترجعنَ من **تألّهي**

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

فكبُر في فهمهم اللُّغويّ المعجمي / اللساني أن يكون المعبود واحدا ، لما هو عليه واقعهم الاعتقادي التّعبدي ، بدليل أنّهم اعترضوا قائلين كما جاء التّنصيص عليه في الآية الكريمة: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إنَّ هذا لشيء عُجاب﴾ [ص:4] ووجه الاستشهاد هنا: ما الذي جعل العرب الفصحاء الذين أبهروا الأمم الأخرى بصناعتهم اللُّغويّة/ المعجمية ، ومهاراتهم البيانية / البلاغية يُنكرون المعنى المعجمي لكملة (الله) وهم أعلم الناس بمعناها ؟

جواب ذلك هو: سيطرة النزعة الوثنية الاعتقادية الجاهلية عليهم ، معادلتها:

الاعتقاد الوثني (تعدد الآلهة) > المعنى المعجمي / اللساني (السَّليقي)

ويقاس على ذلك كل لفظ حمل من الحقيقة الاعتقادية أو التعبّدية حُمُولةً ما ، فقد عرفت العرب مثلا لفظ: **(الصّلاة)**، وتكلّمت به في كلامها ، لكن بالنّظر إلى الكلمة في تطورها المعجمي التَّاريخي ، فقد اختلفت دلالتها بين الجاهلية والإسلام ، ولو تعلّق الأمر بالجانب الدّلالي فقط لما حدث خلاف ، ولكن لمّا تعلّق بالمعتقد أنكروها بمعناها ودلالتها التطوريّة التي فرضها عليها السياق التاريخي. فإذا تعلّق الأمر بالجانب الاعتقادي فإّن المخالف دوما يسلك في ذلك مسلكا يؤمِّن به ذلك الجانب ، ولايراعي للحقيقة المعجمية / اللسانية جانبا ، وهو إمَّا أن يكون:

أ-**رافضا لها وللنطق بها** ؛ كما فعلت قريش وسائر العرب الذين لم يؤمنوا ، عند رفضهم لكلمة تحمل دلالة معجمية ولغوية ، وكانت منشأ الخلاف الواقع وهي كلمة: **لا إله إلا الله**

ب- **تأويلها** ، كما فعلت المعتزلة مع ألفاظ الصفات ، حيثُ أجروا كل الحقائق اللُّغويّة على المجاز ، بداعي نفي التّعضي عن الذات الإلهية.

ومن أمثلة توجيه المعتزلة لدلالة اللّفظ انطلاقا من تثبيت الهوية الاعتقادية عن طريق اللُّغة توجيههم لـ:

1.1 صفة العين:

قد عُلِم في حقل اللُّغة أن لفظة (العين) دالة على الجارحة ، وهي معلومة لا تحتاج إلى تعريف لكونها من الكليات التي لا تخفى معانيها اللُّغويّة اللسانية إذا تعلق الأمر بالإنسان ، ولكن وقع للمعتزلة إشكال وهو تعلُّق هذه الصفة بالذات الإلهية ، وخاصة ما ورد التنصيص عليه في القرآن الكريم من آيات كقوله تعالى: **﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾** [هود: 37] وقوله: **﴿فإنك بأعيننا﴾ [الطور: 48]** وقوله: **﴿ولتصنع على عيني﴾** [طه: 39] حيث استشكل المعتزلة وضع الدّلالة المناسبة للفظة (العين) الواردة في الآيات السابقة لكون الأمر قد يهدد

فكرة اعتقادية عندهم إذا فُسّر بالحقيقة اللُّغويّة ، وأُكسِب الدّلالة المعجمية المتعارف عليها ، فكيف فسّر ابن جنّي هذه اللّفظة الواردة في الآيات السابقة ؟

لقد اضطر ابن جنّي إلى تأويل اللفظ ، وتحميله الدّلالة المعجمية المناسبة لمعتقده ، حيثُ اكتفى بذكر آية واحدة فقط محتملة للمعنيين ، والدلالتين (**الحقيقة والمجازية**)، وهي: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾[طه:39] حيثُ قال ابن جنّي موضحا الدِّلالة التي تحملها لفظة (العين) في الآية قائلا: «أي: تكون مكنوفا برأفتي بك وكلاءتي لك ، كما أنَّ من يشاهده النَّاظر له ، والكافل به ، أدنى إلى صلاح أموره وانتظام أحواله ممن يبعد عمن يدبره ويلي أمره قال المُوَلَّد:

شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا   فينا وليس كغائب من يشهد

وهو باب واسع.»[5] فلفظة العين في الآية معجميا ولسانيا عند ابن جنّي لا يمكن أن تدل على حقيقة الجارحة التي تحملها ، بل المقصود بها: الرأفة والكلاءة والإحاطة ، فغلب في البلاغة العربية استعمال لفظ **(العين)** للدلالة على الصفة اللازمة لها وهي **(المراقبة)**، ومن ذلك قول القائل: أرسلت العيون لتأتيني بالأخبار ، ويقصد بذلك الجواسيس التي تتحسّس الأخبار وتأتي بها ، فجرى عند العرب استعمال **(العين)** بهذا المعنى فجرت مجرى المثل في ذلك ، ومنه قول القائل:

كما بعثنا الجيش جرّا   ر وأرسلنا **العيونا**

فيستحيل أن يفهم هنا من **(العين)** حقيقتها من كونها تدل على الجارحة ، بقرينة (أرسلنا) فهل يصح عقلا أن يرسل المرء عينه لتنظر له الأخبار ، فاستحق اللّفظ هنا أن يُحَمَّل دلالة مجازية لوجود ما يصرف عن فهم المعنى الحقيقي ، وهذا ما يسمّى بالمجاز المرسل الذي علاقته الجزئية مثلما ما ورد في قوله تعالى:﴿**يجعلون أصابعم في ءاذانهم**﴾ **[البقرة: 19]**فلا يمكن للإنسان أن يجعل أصابعه داخل أذنه ، وإنما عُلم طبعا وعقلا أن كتم الصوت يكون بالأنامل (أطراف الأصابع)، ويمكن أن يكون الاعتراض على ابن جني فيما حدّده من دلالة للفظ (العين) في الآية السابقة بالسؤال الآتي: ما هي القرينة التي صرفت المعنى من الحقيقي إلى المجازي ؟

جواب ذلك هي: القرينة العقلية ، فيستحيل عقلا عند المعتزلة أن يكون لله عين ، لأنّ ذلك يستلزم عقلا وصفه بالتّعضي ، وعندها يُلْحق بالمخلُوقِين في الوصف. لكن استعصى

عليهم فهم كون الألفاظ قد يتصف بها المتصف بدرجات متفاوتة ، والأفضلية مطبقة في هذا ، وتوضيح ذلك:

الإنسان له **عين=** لا يستلزم أن يتشابه كل إنسان مع غيره في العين لأنّ لها صفات كثيرة. فلها محاسن ومعايب وعوراض [6].

الله له **عين =** فإن ثبتت نسبة صفة **(العين)** لله فما الذي يمنع لغة أن يكون لتلك العين من الصفات ما يجعلها كاملة ، غير مشابهة لعين المخلوقين ؟! والقاعدة في ذلك: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: 11]**

غير أنّ **ابن جني** فسّر **(العين)** الواردة في الآية أنّها مجاز ، وقد برّر ذلك بأنّ تمام الإحاطة تقتضي المشاهدة ، والمشاهدة تقتضي إثبات الجارحة فاحتال لذلك المعنى بمعنى يستساغ في مذهبه الكلامي ، لأنّ قول القائل: **أنت على عيني ،** يحتمل لغويا ومعجميا ودلاليا أمرين:

الأوّل: الكناية ؛ أي أنت تحت مراقبتي وعنايتي ، كأنّ يقول الأستاذ لتلميذه ، أو الشيخ لمريده ، أو الأب لابنه أنت تحت عيني ؛ وقد يغيب المنظور والمشاهد بعين الحقيقة عن عين المُشَاهِد طرفة عين ، أو وقتا طويلا ، ولها دلالة الاهتمام والرعاية ، وهي كناية عن ذلك ، قال **معمر بن المثنى:** «**﴿ولتصنع على عيني﴾** مجازه (أي معناه) ولتغذى ولتربّى على ما أريد وأحب ، يقال: اتَّخذَه لي على عيني ، أي: على ما أردت وهويت.» [7]، وقد أورد هذا المعنى **الجوهري (وهو من اللُّغويّين المعتزلة)** بعدما أقرّ أن (العين) موضوعة للجارحة: «**العين: حاسة الرؤية** ، وهى مؤنَّثة ، والجمع أعْيُنٌ وعُيونٌ وأعْيانٌ .... ويقال: أنت على عَيْني ، **في الإكرام والحفظ جميعاً**. قال الله تعالى: «**﴿ولتصنع على عيني﴾** » [8].

الثاني: الحقيقة والمجاز ؛ إمّا أن تدل العين على حقيقة الرؤية المجردة ، وتحمل الدَّلالة الأصلية لها ، أي أن يقصد المتكلم حقيقة المراقبة بقوله: أنت على عيني ، أو الاستعمال المجازي على ما سبق من ذكره من أنّ العرب استعملت **(العين)** للدلالة على التّجسس والإحاطة وما يقع في هذا المعنى.

فلو لم يكن للاعتقاد دور في توجيه المعاني المعجمية ، ووضع الدلالة اللسانية للصفات الإلهية لما اكتفى **ابن جني والجوهري** بذكرهما لآية محتملة ، والإعراض عن باقي الآيات الواضحة في إثبات صفة **(العين)** فمن هنا يدخل اللَّبس في استدلالهما ، ويقع الاعتراض على احتجاجهما.

EISSN :2602-5353 / ISSN : 2170-0583

وذلك لأنّ الآية الكريمة مثار الاستدلال عندهما هي محلّ خلاف في تفسير لفظة (العين) عند المفسّرين ، وقد أشار ابن جرير الطّبري إلى الخلاف الواقع في تفسير هذه الآية حيثُ قال: «**اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: «﴿ولتصنع على عيني﴾**»[9] وملخّص أقوالهم:

أ. أن يكون في بيت الملك يتغذى ، ويربى هناك ، فتلك الصنعة[10] .

ب. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها.

وقد تحاشى اللُّغويّون المعتزلة ومن وافقهم من ذكر معنى كون **(العين)** في الآية يقصد بها الرؤية نفيا لإثبات هذه الصفة لله ، وهو مسلك لغوي- لساني- معجمي دقيق ، وقد عضدوا أقوالهم بما ورد من خلاف في الآية المستدل بها عندهم ، قال **أبو منصور الماتريدي** مشيرا إلى الخلاف الواقع: « وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: «**﴿ولتصنع على عيني﴾**... وقوله: (عَلَى عَيْنِي): **قَالَ بَعْضُهُمْ: لتُغَذَّى على حفظي** ، يقال: عين اللَّه عليك: أي كن في حفظ اللَّه ، وهو قول الحسن وقتادة.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: لتربي على عيني ، أي: على علمي ، **والأوّل أشبه.**»[11] فالصنعة عند اللُّغويّين المعتزلة ليست في إنكار الدّلالات أو وضع المعاني وإنّما في توجيهها لتخدم مذهبهم الكلامي ، وتدعم اعتقاداتهم وأصولهم ، حيثُ يصرفون كل معنى قد يزري بما يعتقدونه ، ومن ذلك ما قاله **الزّمخشري** في تفسير هذه الآية: «**رُوِيَ** أنَّه (أي موسى ﵇)كانت على وجهه مَسْحَةُ جمال ، وفي عينيه ملاحة ، لا يكاد يصير عنه من رآه. **﴿ولتصنع على عيني﴾: لتربى ويُحِسَنَ إليك وأنا مراعيك وراقبك ، كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به**»[12] فمهد بذكر ما اختُصَّ به موسى من ملاحة وجمال في كون أنّ العادة البشرية تتوق إلى النظر إلى الجمال ولا تنصرف عنه إذا رأته لما في ذلك من راحة للقلب ، واطمئنان للنفس ، وأنّها لا تريد الانصراف عنه ، لينفذ إلى ما يريد من كون أنّ قوله: ▬على عيني♂ يُراد به المراقبة ، والرعاية وليست حقيقة الرؤية البصرية ، وهنا يكمن عملهم ، حيثُ يحاول أن يخفي مذهبة الكلامي في تفسيره اللفظة وفق سياقات تناسبه ، وتوجيه الدّلالة إلى ما يراد بكلام لطيف.

ولابن تيمية (728هـ) كلام دقيق وتحليل رائق حول مسألة التفاسير ، وما ورد فيها من غلط من جهة وضع المعاني وتفسير الألفاظ ، ومراعاة السياق الصحيح عند النظر في لغة القرآن حيثُ قال: «وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين - حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ؛

فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق ووكيع وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم. ومثل تفسير الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وبقي بن مخلد وأبي بكر بن المنذر وسفيان بن عيينة وسنيد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي سعيد الأشج وأبي عبد الله بن ماجه. وابن مردويه —

أ. إحداهما: قوم **اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.**

ب. و الثانية: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به.

– **فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.**

– **والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام.** ثم هؤلاء **كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللُّغة** كما يغلط في ذلك الذين قبلهم **كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن** كما يغلط في ذلك الآخرون وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان:

1- تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به.

2- وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به.

وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول. وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضا في تفسير الحديث فالذين أخطئوا في الدليل والمدلول - مثل طوائف من أهل البدع - اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها **وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم.**

- تارة **يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها.**

- وتارة **يتأوَّلون ما يخالف مذهبهم بما يحرِّفون به الكلم عن مواضعه** ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية **والمعتزلة** والقدرية والمرجئة وغيرهم. **وهذا كالمعتزلة مثلا فإنهم من أعظم الناس كلاما وجدالا وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم** ؛ مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم شيخ إبراهيم بن إسماعيل بن علية الذي كان يناظر الشافعي ومثل

كتاب أبي علي الجبائي والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ولعلي بن عيسى الرماني **والكشّاف لأبي القاسم الزمخشري** فهؤلاء وأمثالهم اعتقدوا مذاهب المعتزلة»[13] فالمعتزلة ممن راعى معنى اللفظ دون النّظر إلى حقيقة الدّلالة التي يجب أن يحملها ، فسلبوا اللّفظ معناه الذي يجب أن يتصف به انتصارا لمذهبهم ، وقد كانوا أهل جدل وخصومة ومماحكة ، وممن تأول معاني الألفاظ من أجل مذهبهم ولو كلّفهم ذلك الإتيان بتفسير غريب ، أو تجاهل مشهور ، أو نكران مستفيض ، وردّ متواتر ، بدليل أنّهم صنّفوا الكتب على أصول مذهبهم التي وضعوها ، وأرادوا أن يعمموا هذا الاستعمال ، لا على الحقائق اللُّغويّة ، والعلمية ، والأصول العلمية والمنهجية الواضحة.

3- نتائج البحث ؛

وفي نهاية هذا البحث يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- إنّ اللغويين المعتزلة يرون أنّ أكثر اللغة جار على المجاز، لذا لا يمكن فهم الدلالات اللغوية ، ووضع المعاني للألفاظ إلاّ على هذا الأساس ، وهذا خلاف ما عليه الكثير من أهل التحقيق من اللغويين.

- إنّ الأمن العَقَدي تربطه علاقة متينة بالأمن اللغوي ، لذا عقد ابن جنّي بابا في ذلك وسمه: باب فيما يؤمنه على العربية من الاعتقادات الدّينية.

- إنّ اللغويين المعتزلة اعتمدوا في وضعهم لدلالات الصفات الإلهية وتحديد معانيها على أصول مذهبهم الكلامي ، وقواعدهم العقدية ، وقد أغفلوا تحكيم الصنعة الدّلالية المعجمية اللسانية.

- لقد تعصّب اللغويون المعتزلة لمذهبهم الكلامي ممّا جعلهم يحرفون الحقائق اللّغوية معتمدين على التأويل والمجاز اللغّوي ، حيثُ عبثوا بالدّلالات والمعاني تبريرا لصحة معتقدهم.

- لقد تعسّف اللّغويون المعتزلة في تحديد الدّلالات والمعاني للصفات الإلهية ، ممّا جعل من المسألة صراعا عقديا لا بحثا لغويا معجميا لسانيا.

الهوامش:

[1] قال الشّهرستاني (ت 548هـ) عن المعتزلة: «واتَّفقوا على أنَّ كلامه مُحْدَث مخلوق في محلٍّ، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه. فإنَّ ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال» (محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،الملل والنِّحل ، تع: كسر صالح العلي ، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت ، 1432هـ/2001م ،ص74.)

[2] يُنظر: الجوهري ، الصِّحاح تاج اللغة ، مادة (سوى). ولا يُعلم قائل هذا البيت ولم ينسبه أحد ، وقد عدّه بعضهم مكذوباً

[3] المصدر السابق نفسه ،الجزء نفسه ، ص2169-2171 ، مادة (عين).

[4] سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، 230.

[5] ابن جني ، الخصائص ، ج3، ص249.

[6] أبو منصور الثعالبي ، فقه اللُّغة وأسرار العربية ، تح: حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، ط3، بيروت ، 1431هـ/2010م ، ص142-144.

[7] مجاز القرآن ، ج2 ، ص19.

[8] الجوهري ،الصّحاح ، ج6 ، 2169 ؛2171 ، مادة (عين).

[9] جامع البيان ، ج18 ، ص303. ويُنظر: ج18 ، ص304-305.

[10] يُنظر: عبد الرزاق الصنعاني ، تفسيره ، تح: محمود عبده ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1419هـ/1990م ، ج2 ، ص371 .

[11] محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي ، تفسيره (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي با سلوم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1426هـ/2005م ، ج7 ، ص280.

[12] الزمخشري ، الكشاف ، ج3، ص63.

[13] مجموع الفتاوى ، تح: عبد الرحمن بن القاسم ، دط: 1416هـ/1995م ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ج13 ، ص355-357.